شهيد الآباء

قصيدتان للشاعر راضي مهدي السعيد

بأي فم أشدو . وما عاد لي فمُ
ولكنها نفس سقى جرحها الدمُ

وألهبها في حومة الشعر مصرع
به لم تكن غير الدما تتكلَّمُ

وألهمها صوت البطولة فانبرت
تصوغ قوافي المجد لحناً وتنظمُ

وأنطقها يوم على الدهر خالد
به غدت الأيام تسمو وتعظمُ

وطالعها طيف من الأمس قد سرى
به عبق الايمان والقلب مفعم

فجاشت بها مشبوبة الجمر واللظى
أحاسيس في أصدائها الروح تضرم

وثارت بها أندى المشاعر والرؤى
وماجت أمان ليس تخفى وتكتمُ

فراحت تغادي النبع لهفى وتغتلي
وتهمس في سمع الدنا وتتمتمُ

وتشرب من وقد اللهيب كأنها
رياح هجير ما به مُتنسَّمُ

وقد عانقت لفح الرمال فمسَّها
لظى ظمأ هيهات ترويه زمزمُ

وتطفئه كل العيون إذا جرت
ينابيعها . والنفس ظل محوَّم

صدى أنت مشبوب المجامر ملهم
فأي المعاني فيك لا تتبرعم ؟

وأي القوافي فيك لم تزك أحرفاً
ولم تلتمع نوراً إذا رفَّ مبسمُ

تمر الليالي والعصور وتنطوي
وأنت بها النبع الذي ليس يظلمُ

طلعت بها لمّا قد اسودَّ افقها
طلوع السنى فانزاح ليل مخيِّمُ

وأوقدت فيها شعلة الحق فاهتدت
نفوس عليها الذل قد كان يجثمُ

وأرخصتها نفساً وكانت كريمة
وقد يرخص النفس الكريمة ضيغمُ

إذا ما رأى في البذل حفظاً لعزة
وصوناً لحق في الدُنا بات يثلمُ

ومحواً لليل قد تعسَّر صبحه
وقبراً لأيام بها العيش علقمُ

وهدماً لأسوار أقيمت ليحتمي
بأبراجها من يستبد ويظلمُ

ومن يحسب الدنيا لديه غنيمة
وليس بها شيء عليه يحرَّمُ

ترنَّمت . والدنيا فم يترنم
بيومك إذ رفَّت بمسراك أنجمُ

وشعَّت شموس المجد في دارة العلى
لأنك في دنيا العلى مُترسِّمُ

ولاحت بآفاق الليالي مضيئة
مشاعل كون فجره يتبسَّمُ

وطافت أناشيد الخلود بعالم
توهَّج بالذكرى فحفَّته أنعمُ

فيا مطفئاً ليل الخنوع وماحياً
دجي الذل من دهر غدا يتحكمُ

ويا واهباً للسيف أرفع هامة ... تساميت من حُرَّ به السيف يطعمُ
ومُجِّدتَ من داع الى الحق ما رأى ... سوى الموت من فتح فشدَّك محزمُ
وقادك ايمان لسوح كرامة ... وكنت به مستبسلاً تتقدمُ
فقلت لمن صالت عليك سيوفهم ... خذوها . فما عزت ضلوع واعظمُ
ولا جزعت نفس على ما يصيبها ... ولو حام حتف أو قضاء مُحتَّمُ
فليست حياة المرء إلّا وديعة ... على الارض تُنهى في غد وتُسلّمُ
وما الحكم إلا للسيوف إذا طغى ... على الأرض رعديد والبد أرقمُ
وضلت نفوس واستبدت أراذل ... وطالت رؤوس أنبتتها جهنمُ
شهيد الإبا ما عاد للسيف شاهر ... وما عاد للهيجا بنا متقحَّمُ
خبت جذوة في العرق كانت مُجيلة ... ولم يبق فيها غير ما بات يُلقمُ
وامست رمالاً قاحلات مرابع ... بها كان ينهل الإباء ويُحرِمُ
فلا (القدس) بيت المسلمين ومهبطاً ... لأبناء (عيسى) من زكت فيه (مريم)
ولا شمس (يافا) اليوم ظلاً لأمتي ... و(يافا) التي كانت بها الشمس تحلمُ
شهيد الابا . لولا بقية عزَّة ... بها كل يوم ها هنا نحن نُصدمُ
لنمنا على آلامنا دون شهقة ... وقلنا : بأن الامر فينا لَمُبرمُ
وصرنا رماداً تلهم الريح جمره ... وتنثره في كل واد وترجمُ
أنبكي . ولم تطلب بكاء وإنما ... طلبت الفدى لما استباحتك أسهمُ
وقارعت بالسيف المخضَّب ظامئاً ... ولم تُغرِكَ الدنيا وياخذك مغنمُ
ولم ترض بالعيش الذليل ولم تدع ... حياتك يُشقيها بدنياك مَندمُ
شهيد الابا . إنَّ الشهادة منهل ... كريم وطعم الموت في العز بلسمُ
اعد ومضات (الطف) فينا فإننا ... لأحوج ما نبدو لما فيك يُلهمُ
اعد ثورة الايمان فينا لننبري ... فإنَّا على إذلالنا اليوم نُوَّمُ
غزتنا جيوش البغي في عقر دارنا ... ونحن بما لا يدفع الخطب نُقسمُ
ونعلنها في كل يوم مبادئاً ... تكاد بها أفكارنا تتسمَّمُ
فهل نحن ابناء الشهادة إن غدت ... تصول علينا العاديات وتهجمُ
ابا الثورة الكبرى بنا ما يضيمنا ... وما يطمع الاعداء فينا ويعزمُ
فإنّا على نهج التفرق نلتقي ... وهم ما التقوا إلا على ما يُقوِّمُ
وشتان بين القوتين وان نكن ... أولي الحق لكن التفرق يهزمُ
متى نحن في أوطاننا بعد فرقة ... وطول اختلاف بالتوحد ننعمُ ؟
وخيم مال الاختلاف وربما ... مال انطفاء العزم في الدهر أو خمُ
لبسنا رداء الذل لمّا تفرقت ... كتائبنا وارتدَّ جيد ومعصمُ
وصرنا جموعاً لا يوحِّد بينها ... سوى الحقد . والحقد السلاح المهدِّمُ
ونحن ورثنا المجد من خير أمة ... وأزكى نبي نهجه ليس يُفصمُ

وأعظم من كانوا على الأرض قادة ... وأكرم من غذوا النفوس وعلّموا
أبا الثورة الكبرى وهذي شكاية ... وهل يشتكي إلا الفم المتألمُ ؟
عسى أن نرى الأيام من بعد نكسة ... تعود لنا بالنصر والنصر يُرقمُ
كفانا بأن نغدو لأعدائنا يداً ... مطاوعة أو انفساً تتهضمُ
فما كان من أمس كئيب بظله ... دعوه ولا تشقوا به أو تهوّموا
فانّكمُ في حاضر متجهّم ... يصول عليكم فيه للشر مذذمُ
فشدوا به أيامكم وتحزّموا ... فإن ارتداء الحزم اجدى واسلمُ
وسيروا على نهج الحسين وصحبه ... ومن رسموا دنيا الاباء وجسّموا
ومن طلعوا في كل دهر وعالم ... سنى عزة فيها الحياة تُكرَّمُ

* * *

ستبقى نشيداً للفدى ليس يختم ... ولحناً شذياً للابا ليس يهرمُ
ودنياً من العز المضيء بأمة ... يشد خطاها الذل شداً ويُحكمُ
وكوناً من الالهام تغمر شمسه ... سماء الليالي كلما جف برعمُ
ستبقى أبا الأحرار ملحمة بها ... تغني شفاه لا تذل وتلجمُ
شفاه أبيّات النفوس كريمة ... سقتها العلى من منهل ليس يُفطمُ
فيا أمة كان الحسين نصيرها ... الى العز صوني العز فالخطب ادهم
ولا تجعلي تلك الدماء مهينة ... وما هي إلا للكرامة منجمُ
وقولي لأبناء يجلون يومها ... بأن لا تنوحوا كالنساء وتلطموا

فإن دم الأبطال عرس كرامة ... ويومهمُ عيد به الدهر يبسمُ
وليس حداداً أو بكاء وأدمعاً ... وهل في البكا إلا الأسى والتازمُ
فما عز في الدنيا سوى من تحملوا ... أذى الدهر وازدادوا صموداً إذا رُموا
وساروا ليوثاً للجهاد وقارعوا ... قوى البغي لا أن يستكينوا ويحجموا
أبا العز ما ايّامنا بعزيزة ... ولا بات حلواً عيشنا المتجهّم
نقمنا على اقدارنا الف مرة ... ولكن على استخذائنا ليس ننقمُ
وكم قد رمينا الدهر بالغدر حُرقة ... ورحنا به من ياسنا نتبرَّمُ
ولو أننا كنا جنود عقيدة ... وأهل جهاد صادق ليس يهزمُ
لكنا يداً مشدودة وأضالعاً ... مُحزَّمة بل أمة ليس تزحمُ

* * *

سلاماً أبا الأحرار ما سال طاهراً ... دم فوق هذي الأرض أو شب مضرمُ
ورتّل لحن المجد والعز ثائر ... تقبّل عينيه السيوف وتلثمُ
سلاماً أبا الأحرار ما ظل في الدُنا ... نداء اباء او تغنّى به فمُ
مضى أمس مذموماً (يزيد) ودهره ... وكل (يزيد) في الزمان مُذمَّمُ
وظل صداك الحر في الأرض خالداً ... وهيهات في الدنيا صدى الحر يُعدمُ